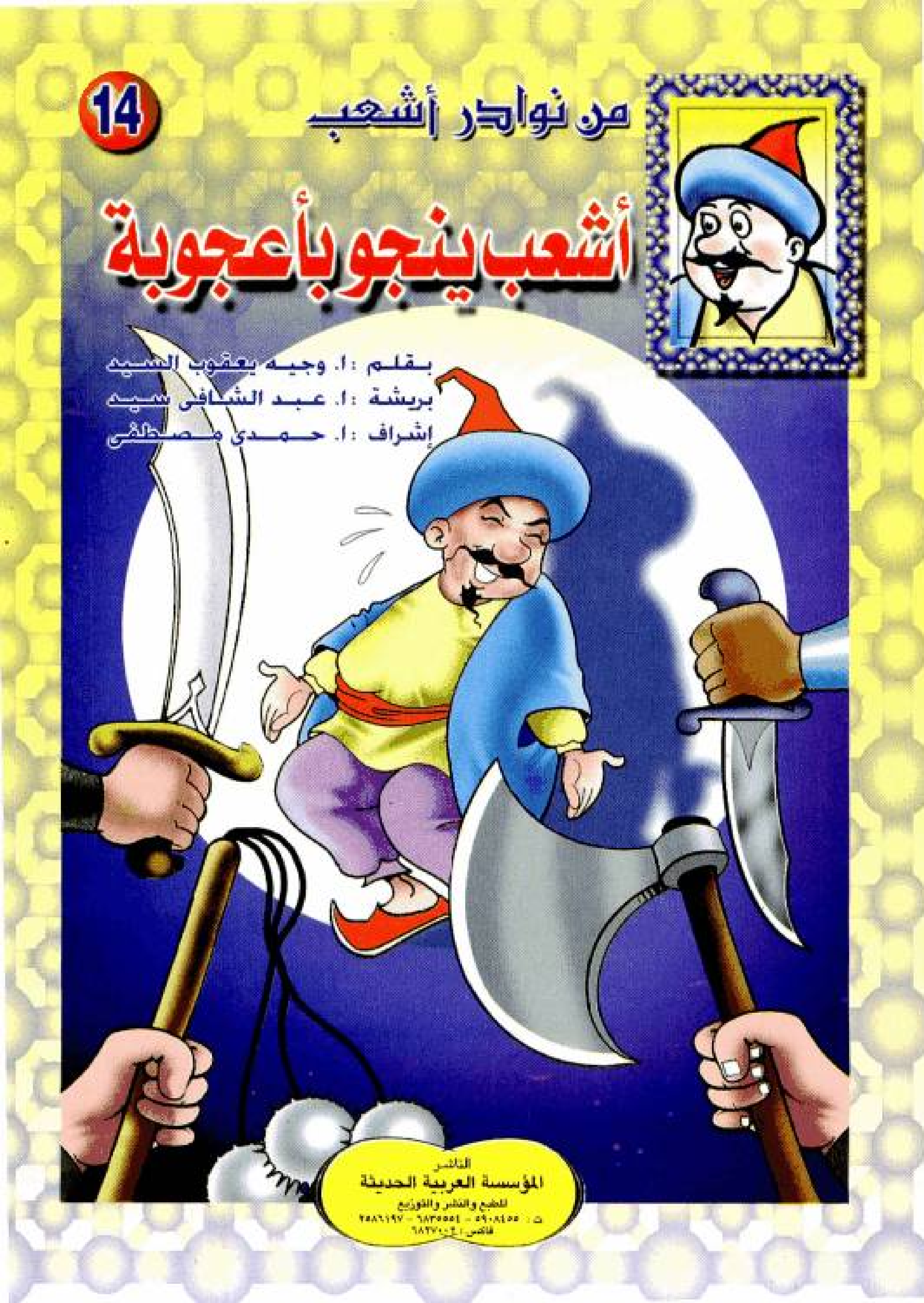

14
من نوادر أشعب
أشعب ينجو بأعجوبة
بقلم: أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧

من نوادر أشعب



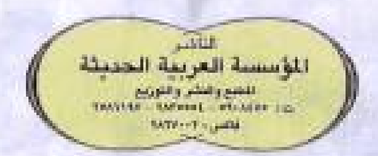
أشْعَبُ الطَّماع

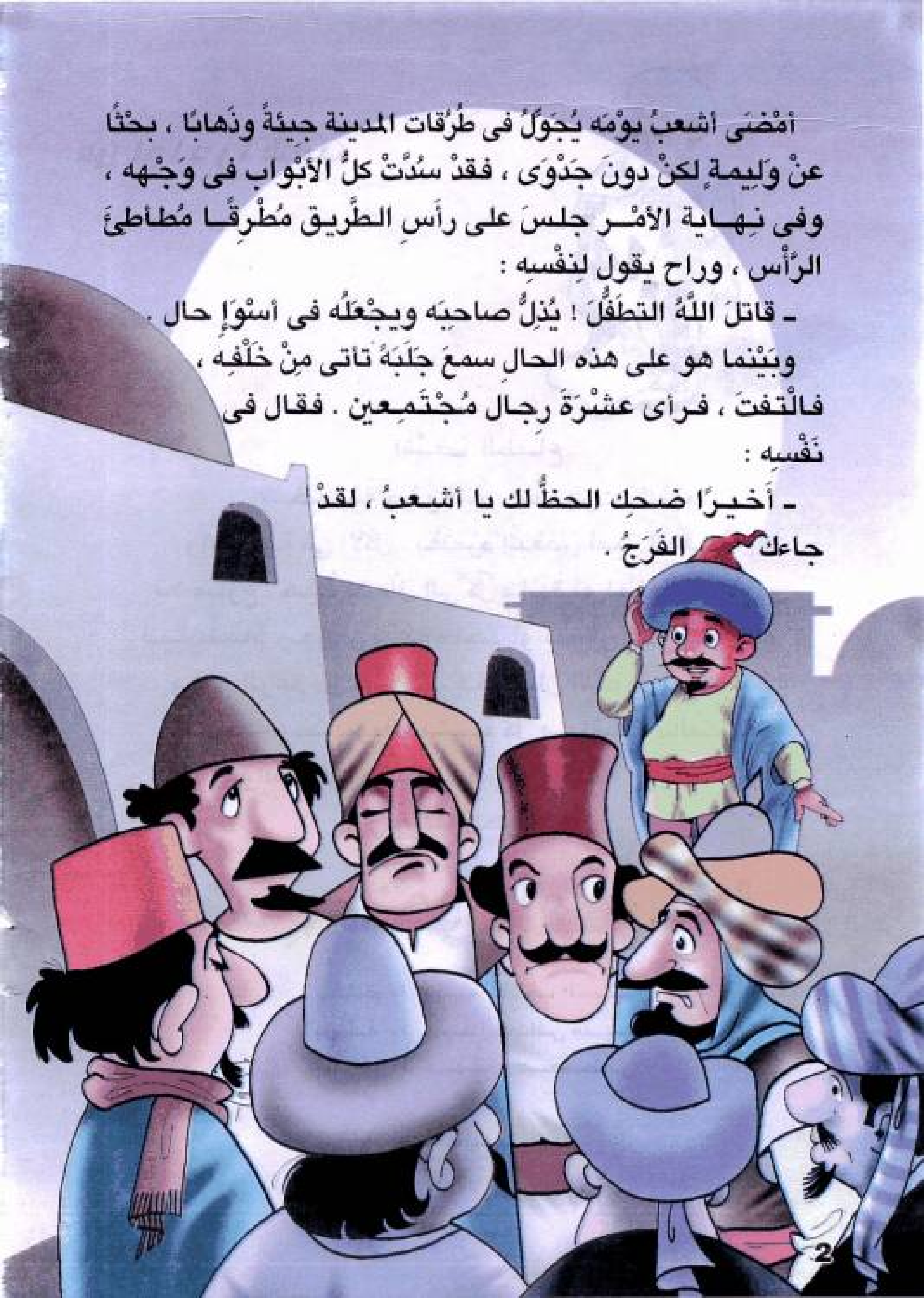
شخْصِيَةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرت بالنَّهم والشَّراهةِ في الأكْلِ ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسللُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرُّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّةِ روحه ومواقفِهِ الطَّرِيفَةِ !

أشعب ينجو بأعجوبة !

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى





أمْضَى أشعبُ يوْمَه يُجَولُ فى طُرُقات المدينة جيئةً وذَهابًا ، بحْثًا عنْ وَلِيمةٍ لكنْ دونَ جَدْوَى ، فقدْ سُدَّتْ كلُّ الأبْواب فى وَجْهه ، وفى نِهـايةِ الأمْـر جلسَ على رأسِ الطَّريق مُطْرِقًـا مُطأطِئَ الرَّأس ، وراح يقول لِنفْسِه :

ـ قاتلَ اللَّهُ التطَفُّلَ ! يُذِلُّ صاحبَه ويجْعَلُه فى أسْوَإِ حال .

وبَيْنما هو على هذه الحالِ سمعَ جَلَبةً تأتى مِنْ خَلْفِه ، فالْتفتَ ، فرأى عشْرَةَ رِجالٍ مُجْتَمِعين . فقال فى نَفْسِه :

ـ أَخيرًا ضحِك الحظُّ لك يا أشعبُ ، لقدْ جاءكَ الفَرَجُ .

ولمْ يلبَثْ أشعبُ أنْ قام مُسْرِعًا ، وتسلَّل حتى اندَسَّ وسْط هؤلاءِ النَّاس ، وهو يقول فى نفْسِه :

- أُقْسِمِ إنَّ هؤلاء ما اجْتمعوا إلا لوَليمة أو عُرْسٍ فيه طعامٌ لأحدِ الأثْرِياء ..

ولمْ يمضِ كثيرٌ منَ الوقت حتى جاء رجلٌ يقودُ هؤلاء الرِّجالَ ويمضى بهم فى اتِّجاهِ زوْرقٍ قدْ أعِدَّ لهم . فقال أشعب لنفْسِه :

- وَلِيمَةٌ ونُزْهَةٌ فى وقتٍ واحدٍ ؟! أحْمَدُكَ يا رَبُّ ..



ركبَ أشعبُ معَ الرِّجال الزَّوْرقَ ، وانْطلق بهم يَمْخُرُ عُبَابَ البَحْرِ ، وفى وسَطِ البحْرِ قامَ الرجل الذى كان يقودُ هؤلاء النَّاسَ وقَيَّدهمْ بالْحَديد ، وبالطَّبْع قيَّد معهمْ أشعبَ .

لمْ يكدِ الرَّجلُ يقيِّدُ أشعبَ بالْحديد ، حتى أيْقنَ أنَّه وقعَ فى شَرِّ أعْماله ، وأنَّ هناك خَطأً قدْ حدثَ ، ولمْ يَمْضِ وقتٌ كثيرٌ حتى وجدَ أشعبُ نفْسَه فى بَغْدَادَ وجْهًا لوَجْهٍ أمَامَ الخليفةِ .

أخذ الخليفةُ يدْعو الرِّجالَ بأَسْمائِهم واحِدًا بَعْد واحدٍ ، فيأْمرُ بضَرْبِ أعْناقِهمْ على الفَوْر .



فـقدْ كـانـوا منْ زُعمـاءِ الفِتْنة فى الـبـلاد ، وفـى الحـال كـانَ السَيَّافُ يقْطعُ الرِّقابَ كما لوْ كان يقْطِفُ ورْدًا منْ بُسْتان !

رأى أشعبُ الرِّقابَ وهى تطيرُ مِنْ حوْلِه ، فامتلأَ قلْبُه رُعبًا ، وأدْرَكَ أنَّه هالكٌ لا مَحَالةَ ، بِدون ذَنْبٍ جَنَاهُ .

اقْتربَ الخليفةُ مِن أشعبَ ونظرَ إلَيْه بإِمْعانٍ ، حيثُ لمْ يكنْ منَ المطْلوبِينَ لِلْعَدالةِ ، وقال فى دَهْشة :

ـ مَنْ هذا ؟





فردَّ الجنودُ قائلين :

ـ واللهِ ما ندْرى ، غيْرَ أنَّا وجَدْناهُ مع القوْمِ فجئْنَا به !

ازْدادَتْ دهْشَةُ الخليفةِ ، والْتَفت إلى أشعبَ وقال مُسْتَنْكِرًا :

ـ منْ أنت ؟ وما هى حِكايَتُك ؟ تكلَّمْ قبْلَ أنْ أُطِيحَ برَقَبَتِك !

لم يكدْ أشعبُ ينْظُرُ إلى وجْهِ الخليفةِ ويرى الشَّرَرَ يتطايرُ مِنْ عيْنَيْهِ ، حتى ارْتَعَدَ من الرُّعْب ، وارْتعشَتْ ساقاهُ ، وقالُ متلَعْثِمًا :

ـ واللهِ يا أميرَ المؤمنين أنا لا أعْلَمُ عنْ هؤلاءِ الناسِ شيْئًا ، وليسَتْ بَيْنى وبينَهُم صِلَةٌ !

نظرَ الخليفةُ بِغَضَبٍ إلى أشعبَ وقال :

ـ إذنْ ما الذى جاء بك معَهم ؟ وكيْف الْتقَيْتَ بهم ؟

سالَتِ الدُّموعُ منْ عَينىْ أشعبَ ، وقال وهو يُغَالِبُ دُمُوعَه :

ـ إنَّنى رجلٌ طُفَيلِىٌّ ، وقدْ رأيتُ هؤلاءِ القوْمَ مُجْتمعين ، فقُلْتُ لنفسى :

إنَّ هؤلاءِ ما اجْتمعوا إلا لِوَليمةٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، وأنا مُنذُ يَوْمَيْنِ لمْ أذُقْ طعْمَ الطَّعام !

لمْ يكَدْ أشعبُ يُتمُّ كلماتِه تلْكَ حتى صاحَ الخليفةُ قائلاً :

ـ عُذْرُك هذا غيرُ مَقْبول .



ثم صاحَ صَيْحةً أشدَّ فى حُرَّاسِهِ قائلاً :

ـ أيُّها الحرَّاسُ اضْرِبوا عُنُقَ هذا الطُّفَيْلِىِّ ، حتى يكونَ عِبْرةً لكلِّ طُفَيْلِىٍّ ، وليَعْلَمَ كلُّ إنْسانٍ أنَّ من تدخَّلَ فيما لا يَعْنيه ، طارَتْ رقبَتُه ولمْ يَبْقَ جُزْءٌ سليمٌ فيه !

رأى أشعبُ الجِدِّيَّةَ على وجْه الخليفة ، فصاح منْ شِدَّة الخوْفِ قائلاً :

ـ أيُّها الخليفةُ أعَزَّكَ اللهُ ، لى طلبٌ وحيدٌ عِنْدَك قبْل أنْ تُنَفِّذَ فىَّ حكمَ الموتِ والإعْدام !

قال الخليفة :

ـ وما هو ؟

فأجاب أشعب وهو ينْتَحِبُ :

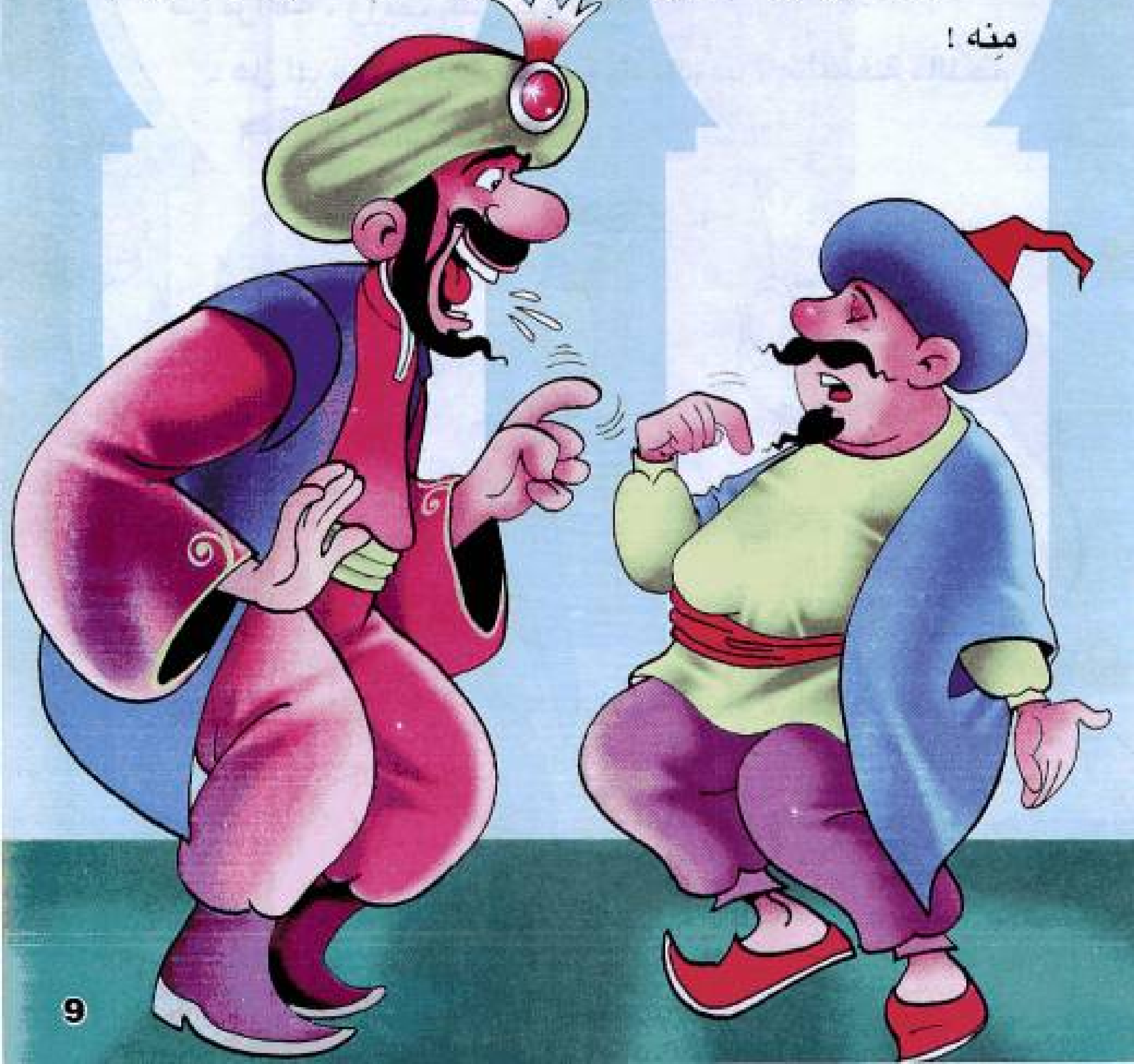
- إذا كنْتَ فعْلاً قد قررْتَ قتْلى ، فاضْرِبْ بطْنى بالسَّيْف وليْس عُنُقى !

انْدَهشَ الخليفةُ وقال :

- ولماذا يا رَجلُ نضْربُ بطْنَك بالذَّات بالسَّيْف ؟

فأجاب أشعبُ :

- لأنَّ بْطنى هو الذى ورطَنى هذه الورْطةَ ، ولذلك وجبَ الانْتِقامُ منه !





وما إنْ أتمَّ أشْعبُ كلامَه ، حتى انْفجَرَ الخليفةُ بالضَّحِك ، وأيْقنَ أنَّ هذا الرجلَ خفيفُ الظِّلِّ ليْس منْ دُعاةِ الفِتْنة ، فأمَرَ السيَّافَ أنْ يتركَه ، وقال مُخاطبًا أشعبَ :

ـ لقدْ كادَ طَمَعُكَ يُوصِلُكَ إلى حَتْفِك ، لوْلا لُطْفُ اللّه وكرمُهُ بك ..

ثم أقْبلَ الخليفة على أشعبَ بوَجْهٍ طلْقٍ ، بعْد أن تأكَّد مِن براءَتِه ، وربَّت على كَتفِه قائلاً :

ـ هلْ لك فى «ثَريدَةٍ» مَغْمورةٍ بالزُّبْد ، مُشَقَّقَةٍ باللَّحْم يا أشعبُ ؟



فردَّ أشعبُ قائلاً :
- وأُضْرَب كَمْ ؟
فكتم أميرُ المؤمنين ضحكة وقال :
- بلْ تأكُلُها من غيْر ضرْب .
فنظرَ أشعبُ إلى الخليفةِ فى ارْتِياب ؛ ثُم قال :
- أخبرونى باللّه عليكم .. كم الضَرْبُ حتى أتقدَّمَ على بصيرة ؟
ضحك الخليفة وأحسّ بالسعادة تغمره ، وراح يتبادلُ مع أشعبَ الحديثَ ، وكان لأحاديثِ أشعبَ ونوادرِه أكبرُ الأثرِ فى التَّسْرِيَةِ عن نفسه ، ثم سأل الخليفةُ أشعبَ :
- لَقدْ سمعتُ عن طَمعِك ، فأُحبُّ أنْ أسمعَ منك بنفْسى عن مِقدارِ ما بلَغَتْه نَفْسُك من الطَّمَعِ !


ضحكَ أشعبُ وقال :

ـ واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ اثْنَيْن يتسارّان فيما بَيْنَهُما إلا ظننْتُ أنهما يوصيانِ لى بشَىْءٍ !

ازدادتْ رغْبةُ الخليفةِ فى الحديث إلى أشعبَ ، وأحبَّ مُمَازَحَتَه فأشار إلى وزيرِه إشارَةً يفْهمُها ، وعلى الفَوْرِ اقتربَ الوزيرُ منْ أشعبَ وقال :

ـ يا أشعبُ ، إنَّك سترْحلُ بعدَ قليل ، وقد أحْبَبْتُك ، وأحْببتُ أن تتركَ لى ذكرى أذْكُرُكَ بها ، ويُسْتَحْسنُ أنْ تُهديَنى خاتَمَك هذا !

اضْطربَ أشعبُ وقال فى تَلَعْثُمٍ :

ـ الأفضلُ أن تتذكرنى بِأنَّنى منَعْتُك هذا الخاتَمَ ، لأنَّ هذا أبْلغُ فى الذكرى من إعطائك إيّاه ..

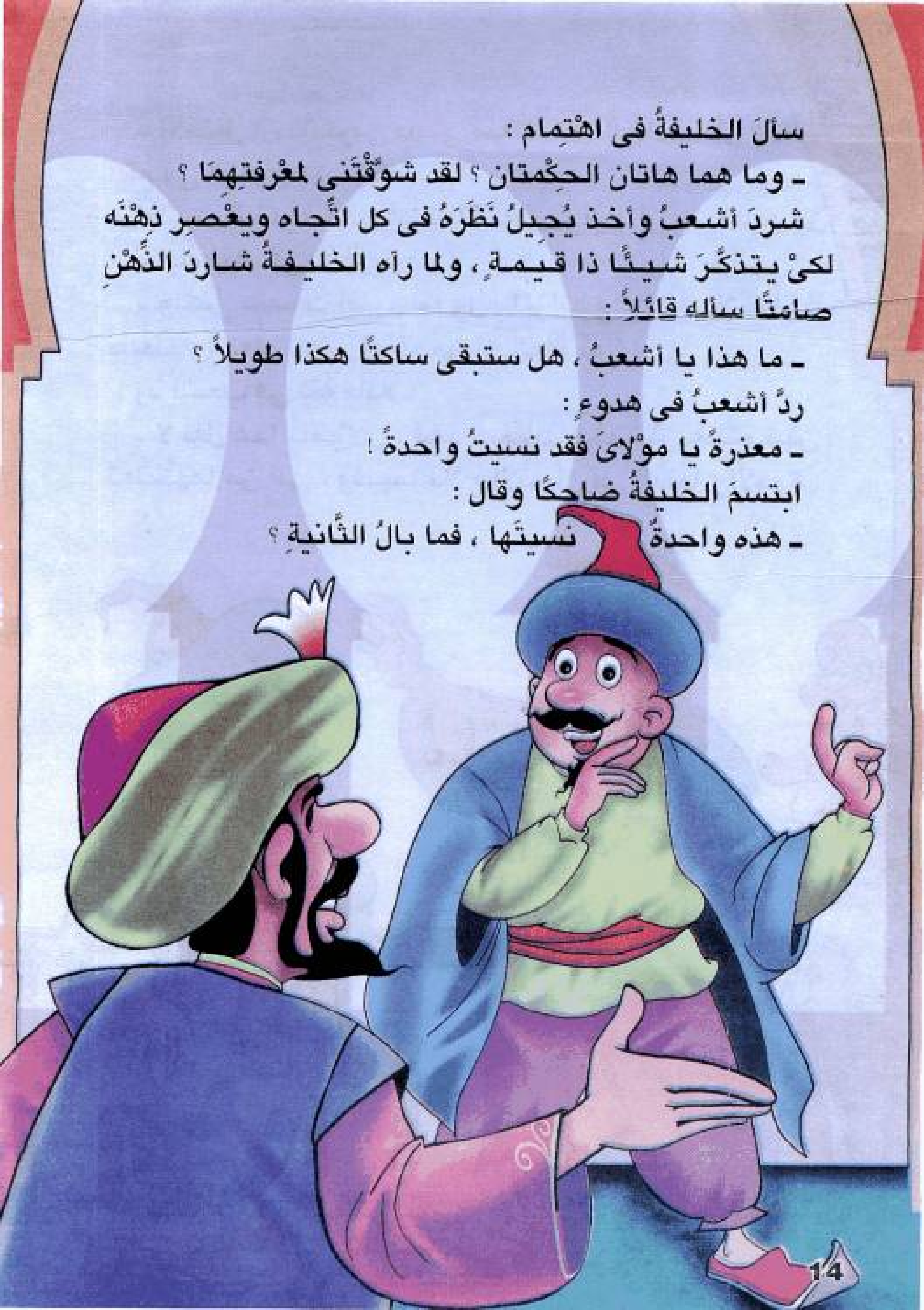
ابْتسم الخليفة من فِطْنَة أشعب ، وأرادَ أن يستزيدَ من الضحك فقال فى سُخْرِيةٍ :

ـ ولكنِّى سمعتُ أنك مشغولٌ بالموائدِ والْولائمِ ولا شأنَ لك بالعِلْم والتعلُّم ، على الرُّغم من أنَّ العلْمَ نورٌ !

ردَّ أشعب فى ثِقةٍ قائلاً :

ـ لا تقلْ هذا يامولاى ، فقد حفِظْتُ حِكْمَتَيْنِ عظيمتَيْنِ ، تعلَّمْتُهُمَا مِن أبى ، وفيهما فلاحُ الإنْسان فى الدُّنيا والآخرةِ !





سألَ الخليفةُ فى اهْتِمام :

ـ وما هما هاتان الحِكْمتان ؟ لقد شوَّقْتَنى لمعْرفتِهمَا ؟

شردَ أشعبُ وأخذ يُجِيلُ نَظَرَهُ فى كل اتِّجاه ويعْصِر ذِهْنَه لكىْ يتذكَّرَ شيئًا ذا قيمةٍ ، ولما رآه الخليفةُ شاردَ الذِّهْنِ صامتًا سأله قائلاً :

ـ ما هذا يا أشعبُ ، هل ستبقى ساكتًا هكذا طويلاً ؟

ردَّ أشعبُ فى هدوءٍ :

ـ معذرةً يا موْلاىَ فقد نسيتُ واحدةً !

ابتسمَ الخليفةُ ضاحكًا وقال :

ـ هذه واحدةٌ نسيتَها ، فما بالُ الثَّانيةِ ؟

وفي ابْتِسامةٍ ساخرةٍ ردَّ أشعبُ قائلاً :

ـ أما الثانيةُ فقدْ نَسيَها أبي ..

لم يكدْ أشعبُ يتمُّ كلامَه حتى انْفجرَ الخليفةُ بالضَّحِك ، وأمَرَ لأشعبَ بجائزةٍ كبيرةٍ .

حملَ أشعبُ الجوائزَ والْعطايَا عائدًا إلى بَيْتِهِ ، وهو يتفكَّرُ في ما حدثَ ، وأنهُ كانَ سيفْقِدُ حياتَه ويدفعُ عُمْرَهُ ثمنًا لطَمَعِهِ ، لوْلا لُطْفُ اللهِ وعِنايتُه ، فقالَ في نفْسِه :

ـ هذه آخرُ مرَّةٍ أُعرِّض فيها حياتي للخطر .

ثم ذرَفَ دَمْعةً سالتْ على خدِّه ، ومضَى في طريقهِ مُسْرعًا حتى وصلَ إلى بيْتِه !



قصَّ أشعبُ ما حدث على زَوْجَتِهِ ، فحمِدَتِ اللّهَ على نجاته ، وعاتَبتْهُ علَى فُضولِه وتطفُّلِهِ الذى كان سيُودِى بحيَاتِهِ ، لكنَّه أكَّدَ لها أنها كانتْ تجْرِبَةً قاسيةً تعلَّمَ منها ألاَّ يتدخَّلَ فيما لا يعْنيه .. ولما انْتهَى أشعب منْ كلامِه رأى جماعةً كبيرةً منَ النَّاس تقفُ فى صُفوفٍ ، ويلبَسُون أزياءً مُوحَّدةً ، فجرَى مُسرعًا نَحوَهمْ وهو يقولُ :

- واللّهِ ما خرجَ هؤلاءِ إلا لِحَفْلِ أحدِ أبناءِ السلْطانِ !

هَرْولتِ الزوْجةُ خلْفَ أشعبَ ، الذى كانَ قدِ اخْتفَى عنِ الأنظارِ وتسلَّلَ بينَ الصفوفِ فقالتْ وهى تضربُ كفًّا بكفٍّ :

- حقًّا إنَّ الطمعَ آفةٌ كبيرةٌ ، لكنَّ أكبرَ آفاتِ الإنْسانِ النِّسْيانُ !



(تمَّت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠
الترقيم الدولى : ٩٧٧-٢٦٦-٣٠٦-٦